**تحليل النص الشعري: محاضرة 4**

لحق جراء الإجهازات على النص الشعري تغيرات حاولت أن تضربه في الجذور، فانتهى به المساء إلى نسخ وأشكال من الكتابة لا تشبه ما كان عليه في سابق عهده، ونسي أكثر من كان في الوسط الأدبي صور القصيدة وعمارتها، وحُمِل على نماذج لا تخرج عن الشعر الحر، ونماذجه، وعن قصيدة النثر في منابر من عرف بها من شعراء الحداثة، من أمثال اللبناني أنسي الحاج، والسوري محمد الماغوط، وإلى حد ما المغربي محمد بنيس؛ وقد التصق بهذا النوع من الكتابة، في قاسم مشترك بين الشعر الحر والشعر المنثور، استعمال لغة تتراوح بين المستغلق والمبتذل، تنهل من العامية أحيانا ومن لغة الهيروغليفيين التي لا يدرك معناها حتى أصحابها، ورغم هذا اتسعت هذه الأشكال من الكتابة إلى أن وجدت من يصغي إليها، واصطنعت جمهورا ـــــــ على محدوديته ـــــــ يدعو إليها ويحبذها.

**الشعر الرقمي:**

انتشر هذا النوع منَ الشعر، كما سبقت الإشارة، بانتظام يدعو إلى التأمل في أسبابه، ولعل من هذه الأسباب التي فاقمت الإقبال عليه، هو انتشار الطرق الرقمية في الكتابة والنشر، إذ أصبح متاحا أن يكتب من شاء ما شاء ويلقيه منغير رقيب منالذائقة السليمة ولا حسيب، ومن غير كلفة يتكبدها الكتاب في هذه السبيل. يضاف إلى هذه الوسائط وسائط تقليدية أخرى، لا يقل دورها في ابتذال الكتابة والتهوين من شأنها، كالصحف، والمجلات، والوسائل السمعية البصرية المعروفة.

ومن النماذج التي نصادفها في هذه "المنابر"، قول بعضهن:

زغردي يا ملائكة الرحمة لشروق اليوم

زفتها للجنة مع صباح جديد للسياج

وللملائكة هي طلبت الشهادة ونالتها

هي ناجة ربها للشهادة وناشدتكم

أكمال الطريق طريق الشهادة

والعمل الخيري

خنساواتك فلسطين كثروا

هم فخر العرب

هم حصاد الشهادة وصبر السنين

لن أسال عن منظمات حقوق لأن العدو...

لا يعرف الحقوق والمنظمات متواطأه

جبناء حقيرون يدوسون الملاك

لن أسأل ماذا فعلت بل كثيرا عملت

انقذت أرواح وداوت جرحى

لذالك خافها الجبان وقتلها دون رحمة

بدم بارد تقتل الملائكه وحمام السلام

صبرا أمهات الحمام صبرا غزه

النصر قادم مع شعب عشق الشهادة

عشق القدس وترابك ورواه بدمه المسكي

رحمتك ربي بغزه وأهلها

ونصرا مبينا من عندك

.........

حسب هذا النموذج دلالة على ما سبق عرضه.

ومن جهة المضمون، لا بد من الإشارة إلى أن من نماذجه ما لا يصلح أن يعرض، لابتذاله وخروجه عن الأعراف والقيم، باسم حرية التناول، وباسم الصدق في الموقف الأدبي الداعي، بزعم من يزعم ذلك، إلى التعبير عن الحالة الشعورية كما يعيشها صاحبها.

على أن هذا التصوير المحاكم لهذه النماذج وما فيها من نشاز، لا يمكن سحبه على تجربة الشعر في مجمله، ففيه نماذج عليا تتوفر على قدر عالٍ من الأدبية، وعلى حمل قضايا شريفة لا تجد طريقها إلى المتلقين إلا عبر قناة الشعر، وحسبنا تمثيلا نموذج أمل دنقل في نصه الخالد (لا تصالح)، ومحمود درويش في نصه الجميل (مديح الظل العالي)، ونزار قباني في قصائده السياسية (المهرولون)، و (متى يعلنون وفاة العرب)، وقصيدة (الديك) وغيرها من شعره كثير

فهذه النماذج وغيرها تؤكد أن في شعراء العربية المعاصرين من هو ابن بيئته، يترجم ما يعتمل في نفسه ومجتمعه وما يكتنفه من أحداث رضي أم لم يرض؛ - ففي الخواطئ سهم صائب كما يقال، إذ وجد من الشعراء من أخذ مواقف واضحة وصريحة من كبرى القضايا، كالقضية الفلسطينية – وابتعد بالشعر إما عن الابتذال وإما عن الذاتية والنرجسية التي لا تجدي أحدا، ولا تصنع أدبا، ولا تترك أثرا.

يبقى أن نلفت إلى أن الشعر العربي، مثله مثل الثقافة العربية بمعناها الشامل، يحمل بذور خلوده في طياته، مهما اختلفت عليه العصور، وتوالت عليه عوامل الاضمحلال، فإنا لنا من تاريخنا الحضاري شواهد هذا الصمود أمام عوادي الزمن، ولعل أقرب الأمثلة إلينا، صمود الحركة المهجرية أمام عوامل التحويل التي واجهتها في العالم البعيد ثقافة وجغرافيا (أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية"؛ أمريكا الجنوبية "البرازيل"، "كوبا" الخ...، وثباتها على الأصول التي نشأت عليها، بل لم تكتف بالصمود في وجه التغيير، فتأسست طرفا يدافع عن الثقافة العربية في موطن غير موطنها، وفي مجتمع لم يكن يعرف عنها الشيء الكثير، بل لم يكن يعرف عنها شيئا.

وليس من الترف القول إن أقوى نصوص من مثلنا بهم لهذا الصمود، هي نصوص استوحى روحها أصحابها من تموجات الحياة في العالم البعيد، فهي نماذج كتابية لا علاقة لها بالهزيمة والانتكسار. يقول خليل جبران في إحدى مقالاته :

(أنا متطرف حتى الجنون، أميل إلى الهدم ميلي إلى البناء، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس، وحب لما يأبونه ولو كان بإمكاني استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة، أما قول بعضهم إن كتاباتي (سم في دسم) فكلام يبين الحقيقة من وراء نقاب كثيف، فالحقيقة العارية هي أنني لا أمزج السم بالدسم، بل أسكبه صرفًا غير أني أسكبه في كئوس نظيفة شفافة.)

ويقول إيليا أبو ماضي: [الكامل]

ليت الذي خلق العـــــيونَ السُّـودَا خلق القلوبَ الخافقات حديدَا

لــــولا نواعــــــــسهــــــــا ولولا سحــــــــــــــــــرها ما ودّ مـــــــــــــــالكُ قلبِــــــــــــــه لو صِـــــــيدا

عَـــــــــــــوذْ فؤادك من نبال لحاظــهـــــــــا أو متْ كمـــــا شاء الغرام شهـــيدا

إن أنت أبصرت الجمال ولم تهم كنت امرءًا خشن الطباع بليدا

وإذا طلـــــــبت مع الصّبابة لــــــــــــــــــــــــــذةً فلقد طلبت الضّائـــــــع المـــــوجودا

يــــــــــــا ويح قلــــــــــــــــــبي إنّــــــــــــه في جانــــــــــــــبي وأظــــــــــــــنّه نائي المــــــــزار بـــــــــــعــــــــــــــــــــــــيدا

مــــــــــــــستـــــــــوفزٌ شوقـــــــــــــــــاً إلى أحبابه المرء يكره أن يعـــــــــــيـــــــــــــــــش وحيدا

ما في هذين النموذجين يتكرر في كثير مما كتاب نظراؤهم في شتى المواضيع، وفي شتى المناسبات، فمع كل نص تطلع تجربة في الحياة، وفي الكتابة، تنبي عن الروح الوثابة الدالة على حياة صاحبها، وتزكي نزعته الوجودية المندفعة نحو البقاء بأسبابه الفردية والجماعية، بعوامله الأنطولوجية بمختلف تشكلاتها.

وبمثل هذا يمكن الاستدلال على أهمية الشعر في الذات العربية، وعلى دوره في بقائها صامدة أمام التاريخ وأمام الجغرافيا.